جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب
والعلوم الإنسانية ظهر مهراز فاس

(الفصل الثاني): الفلسفة وأنماط التعبير

د. مصطفى قشوح

- المحور الأول: الفلسفة تفكير استدلالي منطقي : المنطق مدخلا للفلسفة
- مدخل : الفلسفة والمنطق الأرسطي
- 1) قوانين الفكر في المنطق الأرسطي : قوانين الفكر بين الفلسفة والمنطق:
- مبدأ الهوية/ مبدأ عدم التناقض/قانون الثالث الموفوع/ مبدأ العلة.

تذكير :

❖ الوقوف عند مباحث التفكير الفلسفي :

1) مبحث الوجود (الأنطولوجيا). 2) مبحث المعرفة (الابستمولوجيا). 3) مبحث القيم(الأكسيولوجيا)

❖ التمييز بين التفكير العادي والتفكير الفلسفي:

1) لا يبنى التفكير الفلسفي على ردود الأفعال وإنما على أفعال إرادية–واعية مسبوقة بتفكير عقلاني منطقي.

2) إن التفكير الفلسفي تفكير تساؤلي موجه نحو عالم من الممكنات، كل فكرة يتم اقتراحها لا بد وأن يتم الاستدلال عليها بطريقة منطقية.

3) إن المعرفة الفلسفية معرفة استدلالية صارمة ضد كل ما هو جاهز ومسبق ووثوقي. وليست كالمعرفة العادية الجاهزة التي تستند إلى الذاكرة والسرد والتكرار.

الفصل الأول:
الفلسفة تفكير استدلالي منطقي :
المنطق مدخلا للفلسفة

مدخل: الفلسفة والمنطق الأرسطي

- تذكير بتعريف الفلسفة: عرفنا الفلسفة بأنها رغبة قوية وجامحة تدفع الإنسان إلى البحث في حقيقة الوجود والإنسان. ولا يمكن أن يستقيم هذا البحث دون منهج وآليات استدلالية.
- يقدم المنطق مجموعة من الآليات الاستدلالية التي تسمح للعقل بأن يفكر بطريقة سليمة في أي موضوع كان.

المآزق المنطقية التي واجهت التفكير الفلسفي قبل أرسطو:

- **كان التفكير الفلسفي قبل أرسطو (وأيضا أفلاطون) تفكيرا مشوشا ومليئا بالتناقضات والمفارقات والمغالطات:**
- 1) مأزق الأرخي عند الفلسفة الطبيعية:

أكد أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة أن طاليس أول من تفلسف، حيث تتمثل عظمته في تفسير سؤال أصل الكون انطلاقا من ارجاع تعدد الظواهر الطبيعية إلى عنصر واحد منظم ومفسر هو الأرخي أو مبدأ الكل واحد، وهذا المبدأ هو الماء. ويقصد بالماء ذلك المبدأ الميتافيزيقي اللا-مادي وليس ذلك العنصر الفيزيائي الملموس القابل للتحديد.

لاحقا، سيتبنى تلميذيه (أنكسمندر وأنكسيمانس) فكرة الأرخي نفسها مع اختلاف بسيط، يتمثل في طبيعة هذا الأرخي. فإذا كان أرخي طاليس هو الماء فإن أرخي أنكسمندر وأنكسيمانس هو الأبيرون (اللامحدود أو خليط الاسطقسات) والهواء على التوالي.

لكن إذا كانت المادة الأولى التي فسرالكوسمولوجيون بها تعدد الظواهر الكونية هي العناصر المادية المعروفة بالأسطقسات، وسلمنا مع **طاليس** أن هذه المادة هي الماء [أو الهواء أو التراب...] وافترضنا أن المقصود بذلك الماء المجرد؛ أي ذلك المبدأ الميتافيزيقي: فكيف يكون الماء غير المحسوس سبباً في وجود الماء الطبيعي المحسوس وكل الموجودات الأخرى؟ ولو كانت هذه المادة المجردة [اللا-مادية] الأصل في الطبيعة لتوجب ألا تشبه أي شيء آخر في هذا الكون، مما يتوجب أن تحرم من خاصيتها الجوهرية التي توجد فيها كمادة؟

يمكن اختزال كل الأسئلة السابقة في السؤال التالي: إن أصل (وعلة) المادة هو المادة اللا-مادية؟ وبتأملنا في هذا السؤال نجده يحوي تناقضاً كوسمولوجياً .

2) المفارقات الأيلية: مفارقات زينون آيلي

تنقسم مفارقات زينون إلى مجموعتين:

الأول: مفارقات الكثرة

الثانية: مفارقات الحركة:

مفارقة أخيل والسلحفاة، مفارقة القسمة الثنائية، مفارقة السهم، مفارقة الملعب.

3) المغالطات السوفسطائية

تكشف المحاورات الأفلاطونية (بروتاغوراس، جورجياس، السوفسطائي...) عن تصور واضح بالنسبة للفكر السوفسطائي، كتفكير يقوم على التناقضات والمغالطات والخذع اللفظية والتلاعبات الخطابية البلاغية.

- لا يهتم السوفسطائي بسؤال الحقيقة وانما بسؤال المنفعة، لذلك تجده يركز على الخطابة والاقناع والغلبة في الجدال ويبتعد عن البرهان والعلم والاستدلال. فما يهمه هو تحقيق الغلبة في الحوار سواء باستعمال الطرق المشروعة أو غير المشروعة(فقد أكد بروتاغوراس –كما يذكر أفلاطون– أنه باستطاعته تحويل أقوى الأدلة إلى أضعفها والعكس صحيح).

- من النتائج الأساسية للتفكير السوفسطائي القول بـ: نسبية المعرفة الإنسانية– الانسان مقياس كل شيء– طغيان النزعة الشكية.

- ذهب أفلاطون (أرسطو لاحقا) إلى أن القبول بالتعاليم السوفسطائية المسمومة سيؤدي حتما إلى تدمير المعرفة الفلسفية.

استنتاج

- يؤكد أرسطو أن سبب التناقضات والمغالطات التي كانت سائدة في الفكر الفلسفي قبل أفلاطون تعود أساسا إلى عدم وجود قواعد محددة للتفكير في أي موضوع سواء كان طبيعيا أو ميتافيزيقا أو أخلاقيا أو سياسيا.
- يقول أرسطو :
- **"محاولات البعض الذين ناقشوا الشروط التي ينبغي أن نقبل الحقيقة بناء عليها، تعود لنقص في دراسة المنطق، لأنه كان عليهم أن يعرفوا هذه الأمور قبل أن يقدموا على دراسة جزئية ... يتضح إذاً أن الفيلسوف الذي يدرس طبيعة كل جوهر لا بد أن يبحث أيضا في مبادئ الاستنباط."**

أرسطو: الميتافيزيقا، مقالة الجاما (ج)، الفقرة 1005 b.

تعريف المنطق عند أرسطو :

لم يستعمل أرسطو كلمة منطق في مؤلفاته المنطقية، وإنما استعمل كلمة التحليلات (أنالوطيقا) أو الفكر التحليلي للإشارة إلى **مجموع القواعد التي تمنع العقل من السقوط في الأخطاء (المغالطات والتناقضات)**.

ولم تظهر كلمة "**المنطق**" إلا لاحقا مع شراحه: أندرونيكوس الروديسي والإسكندر الأفروديسي وجالينوس. واستعملت هذه الكلمة للإحالة إلى تلك الآلة التي تعصم العقل من السقوط في الأخطاء.

- يقدم المنطق العدة الاستدلالية الضرورية لكل العلوم والمعارف، فقد اعتبره أرسطو شرطا أساسيا أو مدخلا أوليا للتفكير الفلسفي؛ فقبل دراسة أي علم من العلوم (الأنطولوجيا، الفيزياء، الأحياء، الأخلاق، الجمال السياسة الخ...)يجب البدء بالمنطق.
- نشدد على أن أرسطو لم يخترع المنطق وإنما اكتشفه من خلال دراسة طرق تفكير القدماء.

- يمكن تلخيص المنطق الأرسطي في عنصرين:

1) قوانين ومبادئ الفكرالأرسطي
2) نظريات المنطق الارسطي

1 : قوانين الفكر الأرسطي من المنطق إلى الفلسفة

- تعد قوانين الفكر المبادئ الأولية التي تحكم العقل والوجود.
- توصل أرسطو إلى هذه القوانين والمبادئ من خلال دراسة طرق تفكير الفلاسفة القدماء، وخصوصاً الفلاسفة الطبيعيون [هيراقليطس] والميتافيزيقيون [بارمنيدس].
- انتبه أرسطو إلى أن البحث في الصراع الأنطو–ميتافيزيقي بين أنصار التغيير وأنصار الثبات، كفيل بالتعرف على المبادئ والقوانين التي تحكم استدلالات العقل البشري.
- يمكننا تلخيص المبادئ و القوانين التي تحكم الفكر الفلسفي في أربعة مبادئ أساسية:

1. مبدأ الهوية .
2. مبدأ عدم التناقض .
3. قانون الثالث المرفوع .
4. مبدأ العلة.

1) مبدأ الهوية

- نص المبدأ

- يجب على الشيء أن يظل هو هو [أي نفسه] لا يتغير مع مرور الزمن، ويمكن التعبير عنه بالصيغة الجبرية التي اقترحها لايبنيز بـ : أ هو أ أو (أ=أ) .

يقول أرسطو معرفا هذا المبدأ:

" إن الأشياء التي يقال: إنها في هوية يعني أنها كذلك بحكم طبيعتها وبطرق كثيرة منها: إنها واحدة سواء أكان ذلك من حيث النوع أم العدد، وأيضا تلك التي جوهرها واحد يقال إنها في هوية... وعلى ذلك تكون الهوية هي واحدية الوجود سواء أكان وجوداً لأكثر من شيء واحد أم لشيء واحد عندما يعالج شيء واحد في ذاته."

أرسطو، الميتافيزيقا، مقالة الدال، الفقرة1018a.

الجذور الفلسفية لمبدأ الهوية

- يعود جوهر المبدأ الأرسطي (مبدأ الهوية) من ناحية التأويل الفلسفي إلى فلسفة بارمنيدس. يقول بارمنيدس:

- **"الوجود موجود و اللا وجود غير موجود"**

- يرى أرسطو أن المبدأ المنطقي السابق يكشف عن جانب ميتافيزيقي مهم، ينص على أنه لكل شيء خصائص ثابتة لا تتغير مع مرور الزمن. غير أن الثبات الأرسطي مخالف جذرياً للثبات البارمنيدي، فالأول يخص الجوهر الثابت دون العرض المتغير، أما الثاني فيلغي التغير بشكل مطلق سواء على مستوى الجوهر أو العرض.

- فعلى الصعيد الميتافيزيقي تفهم الهوية من خلال التغير، حيث تتحد هوية الشيء من خلال ثبات جوهره وتغير أعراضه، مثلاً: عندما نعرف الإنسان بأنه حيوان عاقل فإن جوهر الإنسان سيظل ثابتاً رغم تغير أحواله ودخوله في حركة الكون والفساد، مثل طوله ووزنه وعقيدته وطول شعره. فهذه الخصائص قد تتعرض للزوال أو التغير بفعل حركة الكون، لكن جوهره العاقل سيظل ثابتاً ولن يمسه أي تغيير أو تحول.

2) مبدأ عدم التناقض

- نص المبدأ :

- من المستحيل حمل صفة وعدم حملها على الجوهر الواحد في الوقت نفسه وبالمعنى نفسه. فمن المستحيل الحكم على الشيء بأنه موجود وغير موجود في الوقت نفسه.
- أرسطو، الميتافيزيقا، مقالة (ج)، الفقرة a 1006.

- وقد عبر عنه الفلاسفة المسلمين بالقول" **النقيضان لا يجتمعان**"
- ويمكن التعبير رمزياً عن هذا المبدأ بـ : ~ (ب ٨ ~ ب)

النتائج الفلسفية لمبدأ عدم التناقض

- بناء على مبدأ عدم التناقض سينتقد أرسطو كل الفلسفات والأنساق الميتافيزيقية التي تجعل من التناقض مبدأ أساسيا لها في التفكير وعلى رأسها فلسفة هيراقليطس. يقول أرسطو :

"لقد قررنا أنه من المستحيل لأي شيء أن يكون ولا يكون في وقت واحد وأن هذا المبدأ هو أكثر المبادئ ثباتاً، إذ لا يمكن دحضه."

أرسطو، الميتافيزيقا، مقالة (ج)، مصدر سابق، الفقرة 1006 a

-

- أكد أرسطو على أن مبدأ عدم التناقض هو أهم مبدأ يجب التسلح به في المنطق والميتافيزيقا وكل العلوم الكلية. ويؤدي التشكيك في هذا المبدأ إلى تدمير التفكير الفلسفي.
- يرتبط مبدأ عدم التناقض أنطولوجيا بمبدأ الهوية. فإذا كان مبدأ الهوية يعبر عن الحقيقة الفلسفية كحقيقة ثابتة بثبات الجوهر، فإن مبدأ عدم التناقض يصرح بكيفية عكسية عن هذه الحقيقة، فلا يكتفي بالقول إن الحقيقة الفلسفية حقيقة ثابتة وإنما يمنع هذه الحقيقة من التحول إلى نقيضها.

3) مبدأ الثالث المرفوع

- يعد هذا المبدأ تعميما للمبادئ السابقة (الهوية وعدم التناقض). وعبر عنه **أرسطو** في كتاب ***"الميتافيزيقا"*** *بالقول:*
  - **" لا واسط بين نقيضين."**
- عرفه الفلاسفة المسلمين بصيغة أوضح حينما قالوا:" **النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان** " ومعنى هذا الكلام أن **أرسطو** ذهب بالتناقض إلى حدوده القصوى، حيث يستحيل حسبه أن نجد موقفاً وسطاً بين المتناقضين، فلا وجود لمرتبة وسطى بين الإثبات والنفي.

- ومن النتائج العظيمة لهذا المبدأ أن القضية إما تكون صادقة أو كاذبة، فإذا كانت القضية <ب> صادقة، فإن <¬ب >ستكون بالضرورة كاذبة. وبالتالي لا وجود لحد أوسط بين طرفي القضية الواحدة، فلا يمكن أن تكون القضية صادقة ونفيها صادق أيضاً. ويمكن استعمال اللغة المنطقية المعاصرة للتعبير عن المبدأ الأرسطي: (ب ٧ ¬ ب).

- علي سامي النشار، المنطق الصوري منذ أرسطو إلى عصورنا الراهنة، ص. 85.

4) مبدأ العلة :

- يتم التعبير عن هذا المبدأ بالصيغة التالية:" **لا يوجد شيء بدون علة، ولا حادث بدون سبب**"وهو المبدأ العام الذي صاغه **لايبنيز** في القرن 17 تحت اسم مبدأ السبب الكافي، ومعناه لا وجود لشيء بدون علة، فكل الموجودات تحتوي في ذاتها على أسباب وجودها، كما أن هناك علاقة سببية بين الظواهر حيث تسمح إحداها بتفسير الأخرى.

- مارتن هيدغر، مبدأ العلة، ترجمة، نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص.ص. 31-30.

- صحيح أن لايبنيز هو الذي صاغ مبدأ العلة بوضوح، غير أن هذا الأمر لا يمنعنا من القول إن مبدأ العلة متضمن في فكر **أرسطو** إذ يعتبر كنتيجة مباشرة لقوانين الفكر، والأكثر من ذلك عد المعارف التي تأتينا من هذا المبدأ من أسمى وأشرف المعارف. وأن العلوم التي تبحث في العلل الأسمى من أعظم وأشرف العلوم.
- يتبين إذن أن أرسطو جعل من العلة أساس لكل المعارف التي بدونها لا تحصل المعرفة، إذ يشكل هذا المبدأ بالإضافة إلى قانون الثالث المرفوع النواة الصلبة للعقلانية الأرسطية.
- يحكم هذا المبدأ المنطق (الاستقراء والبرهان) وأيضا الميتافيزيقا والفيزياء وعلم الأحياء.

تعبر نظرية العلل الأربع بوضوح عن حضور هذا المبدأ في الميتافيزيقا.
يميز أرسطو بين 4 أنواع من العلل في أي موجود:
1: العلة المادية : المكون المادي الذي يتكون منه الموجود(الحجر والطوب)
2) العلة الصورية: وهي صورة الموجود .(صورة البيت)
3) العلة الفاعلة : الفاعل أو الصانع الذي تسبب في وجود ذلك الموجود(عامل البناء)
4) العلة الغائية: الغاية من وجود ذلك الموجود (السكن)